رواية هذا العدد

سوء الظن أصل المحن

تعريب حضرة الكاتبة الفاضلة صاحبة التوقيع

كان ليونتس ملك سيسيليا وبوليكسنس ملك بوهيميا صديقين حميمين ترجع صداقتهما الى عهد كانا فيه شابين يزور الواحد منهما الآخر بصحبة والده ولا يرجع الا وقد استصحب صديقه معه ولبث هذا شأنهما حتى توفي الوالدان واستقرّ كل منهما في مملكته يدير شؤونها

وتزوجا بعد ذلك ببضع سنوات ورزقا ولدين تمت بهما سعادتهما . ورأى بوليكسنس أن الشوق في صدره يدفعه لزيارة صديقه فوافاه زائراً . واستقبله ليونتس بمنتهى الحفاوة والاكرام وأقام له الحفلات الشائقة التي يعجز القلم عن وصف بهائها وروعتها .

***

وكانت هرمونيا زوجة ليونتس على جانب عظيم من اللطف والدعة المقرونين بالجمال ونقاء السريرة وقد علمت ما بين زوجها والزائر الكريم من الصداقة المتينة العرى فبذلت قصارى جهدها لجعل ضيفها سعيدا مسرورا ظانة انها ترضي قرينها بذلك . على أن ذلك لم يكن الا ليثير هواجس ليونتس الذي أصبح بمزواجه غيورا بلا سبب تكده الاخلاق شرسها وقد ساورت الشكوك والوساوس فؤاده فأصبح يرى في كل كلمة تتلفظ بها زوجته بل وفي كل حركة تبديها مجالا ملائما للظنون الشريرة: وما لبث أن عقد النية على الفتك بصديقه وزوجته الامينين فدعا صديقا له من النبلاء يدعى كاميلو وأمره أن يدس السم لبوليكسنس في كأس شرابه : وبذل كاميلو قصارى جهده ليثني الملك عن عزمه فلم ينجح . ولما لم يستطع فعل ذلك المنكر باح بالامر لبوليكسنس فهربا تلك الليلة الى سيسيليا حيث عاش كاميلو في بلاط بوليكسنس أصدق صديق له .

وعلم ليونتس بفرارهما فثار ثائره وعزم على سكب جام غضبه على الملكة فأمر بطرحها وابنها في سجن مظلم : ولم يكن المولد على غضاضة جسمه ليحتمل تلك المعاملة الفظيعة فتوفي على أثر ذلك مخلفاً لوالدته أشد الآلام وأمرها : وولدت الملكة في السجن طفلة لم يكن لديها آن ولادتها سوى صديقة لها تدعى بولين كانت تزورها دائماً راتبة لبلواها منفسة كربها بألطف العبارات وارقها : وقد اونأت بعد ولادة الطفلة أن تأخذها الى الملك لعل منظر وجهها البريء يلين فؤاده فيعطف على الأم المسكينة التي أحبته أصدق حب وكوفئت عليه بتلك القساوة البربرية : على أن الملك مارأى الطفلة حتى تجددت شكوكه وآلامه وأمر زوج بولين أن يأخذها في قارب ويطرحها على أقفر الشواطيء التي يمر بها .

***

وابتدأت محاكمة الملكة كزوجة خائنة على أن الملك لم يشأ أن يتهم بالقسوة والظلم فأرسل يسأل الآلهة ابولون اذا كان محقا بما فعل وقد ظن أن الرد على سؤاله سيكون بالايجاب على أن رئيس الكهان دخل المجلس يقول :

هذا ما يقوله الاله الاعظم ابولون : ان هرمونيا برئة ـ بوليكسينس طاهر السريرة ـ كاميلو صديق مخلص ـ ليونتس شهيد الغيرة ـ وعرش سيسيليا سيبقى بلا وارث اذا لم توجد الطفلة المبعدة . ودخل بعده رجل آخر يقول أن الاميرة الصغيرة قد توفيت وزوج بولين لم يرجع وما تمت الملكة ذلك حتى خرت مغشيا عليها ورأى الملك عظم قساوته فأمر بولين أن تأخذها الى منزلها بنابرى في الأمر ولكنها رجعت بعد برهة تقول : ان الملكة قد توفيت على أثر نوبة شديدة أصابتها .

واستيقظ ضمير ليونتس يوبخه وفتحت عيناه فرأى كلما حدث فانه فقد زوجته وصديقه وابنه وطفلته أيضا... وطفلته التي لو استبقاها لكانت تعزيته في محنته قد أصبحت ولا ريب فريسة للذئاب الخاطفة . وهكذا استولى عليه يأس قاتل فلزم قصره يقضي فيه أياماً يزيد سوادها توبيخ ضميره وأشباح ضحاياه التعسة التي لم تفارقه البتة

ووضعت الطفلة الاميرة على شواطيء بوهيميا في ولاية الملك بوليكسينس ولم يرجع زوج بولين ليخبر بوضعها لانه مرض في الباخرة التي رجعت الى سيسيليا ثم لفظ أنفاسه الاخيرة بعد أن باح لمن حوله بالأمر فأصبحوا واثقين بان الاميرة

لا بد أن تكون قد افترستها الضواري وهكذا مارست الباخرة على شواطىء سيسيليا حتى سار أحدهم الى القصر وأخبر بالأمر كما مر . على أن الحقيقة كانت عكس ما ظنوه فقد وجد الطفلة المهملة راعٍ رقيق الفؤاد ورأى ثيابها الجيدة وسلسلة ذهبية ثمينة معلقة في عنقها ثم رأى ورقة خيطت الى ثوبها وقد كتب عليها أن الطفلة من أبوين شريفين فحملها وأسرع بها الى كوخه وهناك أعلم زوجته بالأمر وكانت رقيقة العواطف كغريبها فاتفقا على تربية الطفلة كما لو كانت ابنتهما وأحبها بارديتا

مرت السنون تلو بعضها ونمت الاميرة فتاة فتانة تنمّ حركاتها عن طيب محتد وأخلاق شريفة ومع أنها لم تعلّم سوى ما يمكن لابنة راعٍ أن تتعلمه فقد ورثت من والديها الحقيقيين فضائل عديدة ميزتها عن غيرها من فتيات القرية

وخرج الامير فلوريزو وارث عرش بوهيميا للصيد في بعض الايام ورأى الفتاة الفتانة بارديتا فعلق بحبها وما عتم أن تقرب من الراعي مختفياً عنه نسبه ومدعياً أنه أحد تجار الاغنام في تلك الجهات وهكذا تمكنت الصداقة بينهما وأصبح يزور الراعي بل قد يزور حبيبته الفاتنة يومياً . ورأى الملك بولكسينس تغيب ولده المتواصل عن القصر فقلقت أفكاره وأرسل من يقتفي خطوات الامير وما لبث الرسول أن عاد يخبر بالأمر فازداد قلق الملك ولم يشأ تصديق ما سمع على أنه عقد النية على التخفي واتباع خطوات ولده ليرى بعينيه ما يفعل وما لبث أن استصحب صديقه المخلص كاميلو وسارا متخفيين الى منزل الراعي

وكان ذلك اليوم عيد عظيم للرعاة يحتفلون فيه بالانتهاء من جزّ الماشية وقد صنع الراعي وليمة دعا اليها عدداً من أصدقائه وما لبثت الخمرة ان دارت بالرؤوس وابتدأت الخاصرة وعلا ضجيج الراقصين ودخل الملك وكاميلو عندئذ فاختلطا بالجمهور

لم يكن تاجر الاغنام أو بالحري الامير فلوريزو في حلقة الراقصين بل كان جالساً في زاوية من الغرفة على مقعد وبجانبه فتاة تزري بالبدر بهاء تحادثه بملء الهدوء والسكينة ورأى الملك ذلك الجمال الباهر فوقف مذهولا حائراً ثم التفت الى كاميلو وهمس في أذنه قائلا :

لعمري يا كاميلو انها أجمل فتاة مشت على وجه الخضراء وكل ما يبدو منها يدل

على أنها لم تخلق لمثل كهذا . على أنه لم يكد ينتهي من قوله حتى وقف فلوريزو وأعلن بمنتهى الرقة خطبته للفتاة الجميلة باردينا وسمع الملك ذلك فثار ثائره وانبرى من بين الجمهور ووقف وقد خلع عنه الرداء الخارجي والتفت الى ابنه وقال بغيظ متناه

ويحك يا فلوريزو أللملك جننت أم لعلك نسيت من أنت اني أمنعك عن هذا بل وأمنعك من الدخول الى هذا المنزل ثانية أما أنت (قال هذا محولا وجهه الى باردينا التي كانت صفراء كمينة) فاذا حاولت رؤياه أو الاجتماع به بعد الآن فاني سأقتلك ووالدك شر قتلة . قال هذا وخرج بمنتهى العظمة مشيراً لابنه أن يتبعه تاركا القوم خلفه بحيرة وخوف من جراء ما حدث

ولم يخرج كاميلو من منزل الراعي الا بعد ذلك بساعة وقد اجتمع به اجتماعاً خاصاً كشف به الراعي حقيقة نسب الفتاة فودعهما بعدها واعداً اياهما وعوداً أحيت آمال باردينا المسكينة

وعلم كاميلو بعد ذلك بحزن وندم ليونتس ملكه وصديقه القديم وعرف مبلغ أسفه على مابدر منه من التسرع والحق فودّ رؤياه وطلب ذلك الى بولكسينس ملك بوهيميا فأذن له به . وفكر كاميلو باستصحاب العاشقين لبطليا حماية ليونتس لعله يرق لحالها ويتوسط لها لدى صديقه بولكسينس وعلى الاخص لان باردينا (كما قرر الراعي) شريفة المحتد وهكذا سافر الثلاثة في اليوم الثاني سراً بدون أن يعلم بولكسينس بسفر ابنه

***

وصل الجميع الى سيسيليا ودخلوا على ملكها الذي استقبلهم بمزيد الحفاوة والاكرام مظهراً سروره العظيم برؤيا صديقه كاميلو وفلوريزو ابن صديقه القديم وقد أثارت رؤياه ورؤيا باردينا آلامه العميقة فكان يناجي نفسه قائلا : لله ما أشبه هذه الفتاة بزوجتي المتوفاة هرمونيا ووجع نفسك ياليونتس اذ لولا آثامك وحقدك لكانت ابنتك الآن فتاة شابة كهذه

في اليوم التالي أقبل الراعي الى سيسيليا تابعاً ربيبته مؤملا أن يفيدها بما لديه من المعلومات الثمينة التي عندما أخبر بها الملك مظهراً مامعه من ثياب وحلي وأوراق

لم يبق للملك أدنى ريب بأن الفتاة هي ابنته الحبيبة المفقودة ولا تسل عن تلك الساعة فقد يعجز القلم عن وصفها ساعة عقد فيها الفرح لسان ليونتس وأسال دموعه فكانت تجري كأوابل الهتان ذلك لأنه تذكر زوجته الحبيبة التي لم تكن بجانبه تشاركه السرور بسعادة ابنتهما .

وأقبل في تلك الآونة الملك بولكسينس يرغي ويزبد يبغي الحيلولة بين ابنه والراعية على إنه ماسمع بواقعة الحال حتى امتلأ فؤاده سروراً وهنأ الحبيبين أصدق التهاني . ثم ترامى على عنق صديقه القديم الذي سأله الغفران والصفح عما مضى .

***

وصمت بولين بما جرى وكانت كل تلك السنوات الطويلة مكرمة من الملك لاحسانها للملكة المتوفاة فأقبلت تقول في مثل هذا اليوم المملوء بالمسرات يتذكر جلالة الملك ولابد الملكة المحبوبة هرمونيا وقد ظننت ذلك فأتيت اعرض على جلالته رؤية تمثال لها أمرت بصنعه حين وفاتها

واستدعيت لذلك فناناً ايطالياً مشهوراً يدعى جوليو واسكنته في منزل لي منفرد خارج المدينة وكنت أزوره مرتين أو ثلاثاً في كل يوم حتى انتهى من صنعه في هذا الاسبوع فاذا أمر الملك بزيارة ذلك المنزل فانه سيرى صورة حية للملكة هرمونيا الجميلة

فسر الملك بذلك وتوجه الى المنزل المذكور يصحبه صديقه بولكسينس وكاميلو وابنه باردينا وفلوريزو ودخلوا المنزل وساروا الى الغرفة المقصودة فدخلوها وكانت النوافذ مقفلة وعلى دكة هناك تمثال مغطى بستارة كثيفة أمسكت بها بولين وهي تقول :

كانت في حياتها كالزنبقة طهراً وعفافاً ، ومهما حاولت يد الانسان الاساءة اليها فاني أعتقد بخلودها وبأن روحها كانت ترفرف في سماء هذه الغرفة وتوحي الى الاستاذ الاتقان في عمله وهكذا بدا التمثال كأنه الحقيقة نفسها : ثم جذبت الستارة فبان التمثال

حبس الجميع أنفاسهم وتفرس الملك بتمثال زوجته الجميلة المتوفاة ولم يقل شيئاً ورأت بولين انتباهه فقالت :

اني أحب هذا السكوت لأنه يدل على الذهول والتعجب ولكن ألا ترى أنه يشبهها ؟

بل أنه صورتها الحقيقية لولا التجعدات التي تبدو على الوجه وهرمونيا لم تكن كذلك في حياتها ! !

فصمتت بولين برهة ثم قالت : تلك يا مولاي مهارة رجل الفن فقد أظهرها لنا كما كان يجب أن تكون لو عاشت الى الآن

ooo

ولم يفه ليونتس بكلمة بل حدق في التمثال كأن عينيه سمرتا فيه فلا تستطيعان الانتقال فعادت بولين تقول :

لو علمت أن هذا التمثال الحقير سيثير آلام الملك الى هذا الحد لما أظهرته البتة ! ! . . .

على أن الملك لم يرفع نظره عن التمثال بل داوم التحديق وهو يقول : لا تسحي الستارة يا بولين لاني أود أن أمتع ناظري بهذا البهاء الملائكي

— بل سأسحبها وسيرى الملك التمثال يتحرك ثم ينزل عن قاعدته فيسير اليه ويمسك بيديه وما أتمت بولين كلامها حتى جذبت الستارة الى فوق فتحرك التمثال ثم نزل بخطى بطيئة وسار الى حيث كان ليونتس الذي وقف فاقد الحس مذهولا أولا ثم انطرح على عنق زوجته الواقفة حية أمامه

لم يكن التمثال سوى الملكة الحقيقية هرمونيا التي كانت قد عاشت بالخفاء بفضل بولين مبتعدة عن العالم بأجمعه مستسلمة لأشد الاحزان . وكانت قد علمت بندم زوجها ويأسه الشديد فلم تشأ اظهار ذاتها له لانها لم تقدر أن تصفح عن ذنبه العظيم نحو طفلتها . أما الآن وقد وجدت الابنة فان ذنوب الوالد قد أمحت :

وتزوج فلوريزو ببارديتا وعاشا أسعد عيش . وكوفىء ليونتس عن سني الآلام الطويلة أثمن مكافأة في الساعة التي شعر بها بذراعي زوجته المخلصة تطوقانه ثانية

(عن الانكليزية بتصرف) — عكا — فلسطين

اسعى رزق طوبى